الاستاذ

الجزء الثامن والعشرون من السنة الاولى

يوم الثلاثاء ١١ شعبان سنة ١٣١٠ و٢٢ امشير سنة ١٦٠٩

الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٣

حالنا امس واليوم

او نتيجة اتعاب المرحوم محمد علي باشا وابنائه ورجاله

اكبر عجائب مصر ان كل وارد عليها وكل مسترزق فيها من الغرباء يدعى انه اقدر على مدنيتها واحق بادارتها واولى بتجارتها . واول كلمة يحيي بها المصريين لستم اهلاً للقيام باعمالكم ولا تدرون طرق الاصلاح واحكام النظام وهي كلمة اقلقت كل مصري ونبهت كل مولود في عاصمة العلوم والسياسات الأُولى فلذا اخذ المجموع المصري يتذاكر فيما كان عليه بالامس وما صار اليه اليوم . وقد تلوّنت عليه طرق الافكار بتلوى صحف الاخبار وتلونها ومباينة الاخبار للحقائق مباينة لا ينطبق شيء منها على صور الواقعيات وقد التزمت جرائد الأُجراء تحويل الافكار بما تنسبه لغير المصريين من الاعمال وما تدعيه من الاصلاح وفي الناس من ادرك القرن الماضي ورأى ما كان فيه من الاعمال وعرف من قام بها من الرجال . وفيهم الشبان الذين نشأوا اخيرًا ولم يروا الا الحال الحاضرة وقد حيل بينهم وبين تاريخ الماضين

بتعاليمهم الاجنبية واصوات الجرائد الاجيرة فربما ظن ناشىء المصريين ان ما عليه مصر الآن من تدوين الدواوين وتنظيم الادارات ونشر المعارف والصنائع وترتيب المديريات والاقسام وعمل الترع والقناطر والجسور وترتيب المجالس انما هو عمل اجنبي وهو ظن فاسد لا دليل عليه فان مدنية مصر تنادي بانها اثر من آثار العائلة المحمدية العلوية وقد وضع اساسه على ايدي الوطنيين في ايام سهر لياليها المرحوم محمد علي باشا متقلباً من جنب لجنب يفكر ويقدّر ويدبر حتى كاد ان لا يتنفس نفساً الا وهو مصحوب بفكر في شأن من شؤن مصر . وتقدم لنا كتابة فصل مجمل في مقالة افتتاحية في العدد الثاني من جريدتنا والآن نريد ان نأتي على اعمال هذه العائلة عملاً عملا بالتفصيل والبيان قياماً بواجب نعمتها علينا معاشر المصريين وتطهيراً لافكار الشبان من اقذار الاكاذيب والمفتريات التي سلبت نسبة تنظيم البلاد عن هذه العائلة الكريمة والوطنيين وألحقتها بالاجنبي زوراً وبهتاناً ولنرشد الآتى الى معرفة فضل ساداته ومجد آبائه حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض الشبان من الاغترار بزخرف قول الكتاب واختلاق الغرباء ومفتريات الأُجراء واذا بينا ماهيات الاعمال والقائمين بتأسيسها سهل على القارئ مقابلة الحقائق الثابتة المشاهدة بالاقوال الكاذبة المصوغة في قالب النصح والارشاد وايقن المصريون ان ما هم فيه انما هو نتيجة اتعاب أُمرائهم وآبائهم فلا تمنعهم مزاحمة الاجنبي من السعي خلف استرجاع ما فات بالجد والعمل وعقد العزائم على حفظ هذه الآثار باتفاق طوائفهم واجناسهم على توحيد السير والسهر في تدارك خطأ المخطئين من ضعفائهم والظهور بين ايدي اوروبا بالاخلاص

في العمل والمحافظة على علائقها معنا وتزييف اقوال الأُجراء بتحسين ما يسلم اليهم من الادارات وما يناط بهم من الاعمال. خصوصاً وهم بين يدي المولى العباس الغيور على مصالحهم ونقدمهم الساعي في اعادة ما كان لآبائه من السير والسيرة انقاذاً لبلاده من يد الخلل وحفظاً لها من الضعف والتلاشي وامير مثل هذا حقيق بان تؤيد الامة مساعيه بالجد خلف آماله وتحقيق اقواله بالحزم والعزم لا بالتهوُّر والطيش والتقاعد عن موجبات المجد والشرف ومن هنا نبدأُ الكلام فنقول

معلوم ان السلطنة السنية كانت ترسل الوالي في العهد الاول الى مصر فيقيم السنة والسنتين ثم يعزل ويأْتي غيره وكانت وظيفته في مصر صورية فان القابضين على الاحكام هم الصناجق وكانوا اربعة وعشرين صنجقاً يراسهم اثنان منهم والبلاد واهلها تحت تصرفهم وكان يعين مع الوالي مامور يسمى الدفتردار عليه ختم التقاسيط والسندات والاوراق التي تعطى من الحكومة لاهلْ البلاد والاموال كانت ترد الى الروزنامة والروزنامجي هو الآمر الناهي في المصروفات وهناك ديوان يقال له ديوان الترسانة والقضاة كانوا يلتزمون البلاد من ملتزم القضاء الاصلي فيحكمون بما يساعدهم على نهب الاموال وياخذون من الرشوة والرسوم ما لاحد له والنيل ياتي سيحاً فيعتكف الناس في القرى والبلاد حتى ينصرف عن الارض فينزلون اليها ويزرعونها والمواصلات التجارية منقطعة بين مصر وغيرها والمعارف في طي العدم ولا مدرسة غير الازهر المنير والامية متسلطنة على الامة والنقود قليلة وغالب التعامل بالحبوب والاسمان والالبان والصنعة لا تزيد عن غزل القطن والكتان

ونسجه ثياباً والاخبار الدولية منقطعة انقطاعاً كلياً فلا علم لمصري بما في البلاد المجاورة له فضلاً عن مملكة اخرى · والاوامر تصدر من الصناجق بحسب ما يرونه · اعرف منها ان بلداً كانت تدفع ثمانين ريالاً فطلب شيخها من حلافها عشرين فضة فتوجه الى الصنجق بمصر وقال له ان بلدنا يمكنها ان تدفع مائة ريال فارسل معه جماعة من الارنؤط فحاطوا بالبلد وطلبوا من مشايخها مائة ريال فاظهروا عدم قدرتهم فامرهم الحلاق ان يهجموا بيوت البلد ففعلوا وجمعوا ما فيها من الحلي والنقود فبلغ مائة واربعين ريالاً فكتبوا للصنجق فصدر امره بجمع اربعين رجلاً من سن الثلاثين الى الاربعين وشنق عشرين منهم وذبح عشرين ففعلوا فهذه مادة من مواد قانون الهمجية والجهالة · وربما قام الصناجق على الوالي فقتلوه · وكثيراً ما كانوا يسلطون الجند على العاصمة لنهبها اذا طلبوا ارزاقهم ولم يجدوا ما يعطونه لهم وكان معظم الاطيان خالياً من الزراعة لكون الفلاح لا يزرع الاّ مقدار حاجته ولتسلط الصناجق على الفلاحين بنهب زروعهم سنة الخصب · فلما جاء المرحوم محمد علي باشا وراى ان الحروب التي وقعت بمصر بين اهلها والافرنج وبين الغز والولاة وبينهم وبينه والحروب التي وقعت في مورة والسودان والحجاز واليمن والشام قد اذهبت ثروة البلاد وعطلت المزارع واوقفت المصانع وخربت القرى فهاجر كثير من اهلها الى الحجاز والمغرب والشام والعراق والاناطول واصبح كثير منها لا ساكن فيه وفسدت الاراضي بعدم الخدمة وتركها للحشائش المحمولة اليها مع مياه النيل وصارت مصر في حالة يأس من الاصلاح فجمع اليه كثيراً من الترك والجركس والارنؤط والمورالية وفريقاً من العرب

والمصريين على اختلاف اديانهم وصير المجموع امة واحدة مصرية وقرب المدربين على الاعمال اليه وشاورهم في اموره وفوض اليهم تدبير الاعمال رغبة في وصولهم الى تنظيم البلاد واصلاحها وبمبادلة الافكار معهم واستمداده من ارائهم تمكن من ضبط السياسة وترتيب الاعمال الجليلة وجمع كلمة الاهلين على الاعتماد عليه والرجوع في امورهم اليه فتحولت حال البلاد الى حال تتقدم للنجاح من الحسن الى الاحسن والنافع الى الانفع واول ما بدأ به من العمل انه قسم البلاد ثلاثة اقاليم . الاول يمتد من وادي حلفا جنوباً الى مديرية المنيا شمالاً وجعله تحت ادارة ولده ابراهيم باشا ورتب له اثنى عشر الف كيس سنوياً . والثاني من المنيا الى الجيزة ويتبعه الفيوم وجعله تحت ادارة احمد باشا طاهر ورتب له ثمانمائة كيس سنوياً ولما توجه ابراهيم باشا للحروب الحجازية احيل عليه القسم الاول فصار يحكم الوجه القبلي كله . والثالث البحري وقد قسم اربع مديريات الاولى تركب من الجيزة وجعلها تحت ادارة حسن بك الشهير بابي نيشانين ورتب له ثمانمائة كيس . والثانية الغربية وجعلها تحت ادارة حفيده عباس باشا الاول . والثالثة الدقهلية وجعلها تحت ادارة حسن افندي القوله لي ورتب له ثمانمائة كيس . والرابعة الشرقية ووادي الطميلات وجعله تحت ادارة محمد بك كتخدا ابراهيم باشا يكن ثم ضم الشرقية الى الدقهلية وجعلهما تحت ادارة عبدالرحمن بك القبطي الاصل وجعل ادارة شرقي اطفيح للقوجه احمد وكانت مصر قبل هذا التقسيم خمس عشرة مديرية ثم قسم المديريات اقساماً وجعل لكل قسم ماموراً والقسم ينقسم الى اخطاط كل خط له مامور ومجموع الاخطاط تحت

ادارة ناظر القسم وهو تابع للمديرية · وجعل لكل بلد عمدة معه اشياخ مقررون بحسب ما تكون عليه القرية او البلد · وجعل بكل قرية شاهدا (وهو المأذون الآن) لعقد الزواج والطلاق وفصل بعض القضايا ورتب في كل بلد خوليا لمسح الاطيان وضبطها وترك لكل بلد جانباً من الاطيان سماه المسموح وذلك لان كل بلد بها مضايف فجعل هذا المسموح لقِرى الاضياف وترك ماله وفي سنة ١٢٢٨ رتب خزانة الاموال (المالية) وحول اليها ايرادات الحكومة وجعل الصرف للجهات منها ولم يبقَ للروزنامة الا فائدة الالتزامات ومرتبات العلماء والحجاز ومرتبات الاوقاف والجهات الخيرية · وفي سنة ١٢٣٣ رتب ديوان الاقاليم وجعله مرجع المساحة وتكليف الاطيان وتحصيل الاموال تحت رآسة المعلم غالي القبطي فقام بتنظيمه وترتيبه احسن قيام ومسح جميع الاطيان وقسمها حياضاً وغيطاناً وحصرها في دفاتر وجعل لها مكلفات بيد صيارفة البلاد مما عز على ديوان التاريع ان يجاريه فيه · وفي سنة ١٢٣٦ جمع المديرين وكثيرًا من الاعيان وربط اموال الاطيان الخراجية والعشورية وجعل اكبر فئة في ضريبتها ثمانية عشر ريالا والريال تسعون فضة فاعظم ضريبة اربعون قرشا ونصف قرش ثم رتب الدواوين فجعل ديوان المعاونة ملحقاً بمعيته تحت رآسة سامي بك الذي ترقى الى باشا بعد ذلك ورتب له ثمانمائة كيس سنوياً وجعل خصائصه النظر في كل ما يعرض من الدواوين والمديريات وسائر الجهات · وفي سنة ١٢٤٣ رتب الديوان الخديوي تحت رآسة محمد بك لاظ اوغلي ثم شريف باشا بعده ثم حبيب افندي

وجعل راتب رئيسه ثلاثة الاف وستمائة كيس وكان يعرض عليه جميع اشغال البلاد حتى ان القناصل يعرضون شؤنهم عليه فكان في رتبة ديواني الداخلية والخارجية بل والحقانية ايضاً وهو الذي ينظر اشغال مدينة القاهرة بدل الضابطة والمحافظة والاوامر تصدر اليه من يوان المعاونة وهو يخاطبه بكل شؤنه · وفي سنة ١٢٤١ انشأ ديوان اشغال المحروسة واحال عليه مصلحة الجلود والمدابغ ووكائل الاصناف (الدخولية) ومصلحة البن وجمرك بولاق وعوائد الغلال والبصمه خانة (معمل الشيت) والدوكمة خانة (معمل الحديد) واشوان الغلال وديوان المبيعات وديوان الفردة · ولما اتسع نطاق الحكومة وكثر توارد الاجانب الى مصر للتجارة والاستيطان انشأ ديوان الخارجية وجعله تحت ادارة بغوص بك وكان رئيساً للتجارة قبل ذلك فصارت القناصل تعرض قضايا رعاياها على الخارجية وهي تخابر ديوان المعاونة وبصدور الحكم تعلن به القناصل · ثم انشأ ديوان العسكرية وسماه ديوان الجهادية ورأس عليه محمد بك لاظ اوغلي بعد فصله عن ديوان الكتخدا ثم عين بدله محمود بك الارنؤط سنة ١٢٤٣ براتب ثلاثة آلاف وستمائة كيس سنوياً ثم رتب فيه مجلساً عسكرياً لتسهيل الاعمال ثم عين فيه احمد باشا يكن براتبه ولما سافر لحرب الحجاز اقام له وكيلاً عنه خورشيد بك الذي صار باشا بعد حرب اليمن الملقب بيرمقسز وكانت المهندس خانة تابعة لديوان الجهادية ايام كانت بقصر العيني والحق به ايضاً المدارس الحربية وورشة المدافع وورش الاسلحة ومخازن الاسلحة والبارودخانة ومعامل استخراج البارود وورش

عمل الجوخ ومطبعة بولاق وقد عين لكل مصلحة من هذه ناظر مخصوص يعرض جميع شؤون مصلحته الى ديوان الجهادية وفوض لرئيس هذا الديوان ان يرقي الى وظيفة اليوزباشي ثم يعرض عما فوقها لديوان المعاونة · وكان تسليح الاستحكامات والحصون وتنقلات العساكر داخل القطر وخارجه من خصائص الخديوي فهو يصدر الاوامر والديوان يباشر تنفيذها · وفي سنة ١٢٤٢ رتب الخزانة (المالية) تحت رئاسة محمود افندي الشهير بناظر المبيعات ورتب له ثلاثة الاف وستماية كيس سنوياً والحق بها مدرسة الدرسخانة التي كان يعلم فيها اللغة التركية والترجمة منها الى العربية ومن العربية اليها ثم تعين لها سامي باشا المورهلي وكان رئيسها مسؤلاً عن جميع شؤن الايرادات والمصروفات وتحت ادارته صيارفة البلاد والمرتبات وبيت المال والضرب خانة وخزانة الامتعة والكيلار ومخبز الظاهر والمسالخ والمواشي والقوافل والمحمل والروزنامة والجنائن والاقطاعات (مصالح الالتزام) ومصالح بر الشام والحجاز والسودان وقاعة المبايعجي (التى كانت لشراء ما يلزم للديوان وبيع ما استغنى عنه) وفي كل ثلاثة شهور يقدم الحساب لديوان المعاونة وفي سنة ١٢٥٣ رتب مجلس الحقانية تحت رئاسة حسن باشا المنستيرلي وكانت خصائصه النظر في شؤون جميع الدواوين واعمال الزراعة وجمع المديرين لأخذ آرائهم في المهمات · وفي سنة ١٢٥١ رتب الجفالك وديوان الاوقاف وديوان الفابريقات وديوان تفتيش العموم والحقانية والخزانة العمومية وديوان اشغال المحروسة وديوان الترسانة وديوان الابنية وجعل رئيس الابنية المرحوم عباس باشا الاول · وفي سنة ١٢٥٢ رتب ديوان المدارس وجعل

فيه اقلام الهندسة والحق به النظر في الاعمال البنائية واعمال الهندسة في جميع انحاء القطر وجعله تحت رآسة مختار بك حال حضوره من فرانسا ثم جعله تحت رآسة ادهم باشا . ثم رتب مشورة الطب تحت رآسة قلوت بك وجعلها مركبة من خمسة اعضاء ما بين اطباء وجراحين واجزائية (صيدلانيه) ورتب اسبتاليات الآلايات وجعل لكل الاي حكيم باشي تحته اربعة حكماء وصيدلاني في زمن السلم وفي زمن الحرب يزاد حكيم وجراح لكل اورطة وكان الآلاي مركباً من اربعة الاف عسكري وفتح في كل من القاهرة واسكندرية اسبتالية (مستشفى) لمرضى الاهالي ورتب اطباء في المديريات للنظر في امر الصحة ومهندسين للنظر في الري والمباني الاميرية والتنظيم وجعل في كل مديرية باش مهندساً وفي كل قسم مهندساً وادارته تابعة لتفاتيش الهندسة ولكل تفتيش رئيس معه معاونون وكتبة ورسامون فكان مهندسو الاقسام يحررون جداول العمليات ويخبرون الباشمهندس وهو يجمع الجداول وينظر فيها وبعد تصديقه يعرضها للتفتيش وبعد اجرائه ما يلزم من النقض والابرام يعرضها للديوان وهو يصدر امره بما يتبع اجراؤُهُ . ثم رتب المجالس ودون لها القوانين مشتملة على الاحكام والعقوبات واعتنى بالثغور فاكثر فيها من الاستحكامات العسكرية والحصون والقلاع وقشلاقات العساكر والمستشفيات والمخابز والطواحين . ثم رتب البريد (البوسطة) براً على ايدي السعادة وبحراً بالمراكب وسفن الخيل ورتب الاشارات في جميع جهات مصر فكانت تأتيه الاخبار في اقرب وقت . وكان اكبر همه السعي في اصلاح الزراعة التي هي مصدر ثروة البلاد فكان لا يغفل عن المستخدمين المكلفين باعمال الترع

والجسور والقناطر ولا يهمل عقاب المهمل منهم والمسيء في عمله وسيرته حتى امتلأت قلوبهم بالرهبة منه والرغبة في القرب من مجالسه وبهذا هجموا على الاعمال هجوم من لا يحب الراحة ولا يميل الى التمتع باللذات النفسية فانوا من الاعمال ما لا ينكره العدو فضلاً عن الحبيب · وحيث ان رجال الوقت الحاضر المتشيعين للدولة الاجنبية المحتلة يطنبون في مصلحة الري ويعدونها من احسن ما تمدح به وينسبون للعمال الاجانب من الاعمال ما يوهم عدم اقتدار المصريين على مثلها او انهم هم المؤسسون لهذه المصلحة المصرية والشبان الذين لم يقرأوا تاريخاً والشيوخ الذين لا يبحثون في اعمال الرجال طائرون حول اقوال المضلين متمدحون بالاجنبي الذي تطريه جرائد الأجراء لزمنا ان نوسع القول في هذه المصلحة فنقول · اول ما بدا به المصريون سد مقطع بوقير الذي قطعه الاجانب ايام محاربتهم في مصر ليفصلوا ثغر اسكندرية عن الديار المصرية حتى يكون ملجاء لهم وميناً لمراكبهم وقت الحرب فغرق بهذا القطع مئات من بلاد مديرية البحيرة وهلك بسببه خلق كثير وفسد به الوف من الفدادين وتلك عادة الامم الاجنبية في كل ارض دخلتها لا تبالي بازهاق النفوس وتخريب البيوت وتدمير البلاد في طريق وصولها الى مقصدها فهي ترى ان المقصد يبرر الوسيلة · فاشتغل الخديوي بهذا السد حتى اتقنه ودفع عن البلاد شرّاً كبيراً ثم انتقل الى سد الفرعونية الذي خلصت به الدقهلية والغربية من التشريق فان مياه بحر الشرق كانت تتحوّل الى البحر الغربي بواسطة الفرعونية وكان هذا السد يساوي سد بوقير في الجسامة والعمل · ثم اعتنى بسد اشتوم الديبة واشتوم الجميل وغيرها من الاشاتيم

التي كان يدخل منها ماء البحر الملح عند شدة الانواء فتزيد مياه بحيرة المنزلة وتملأ الاراضي المجاورة لها وبهذا الفيضان خربت قرى كثيرة من الدقهلية فلما اتم السدود وامن الناس فيضان البحر الملح على قراهم عادوا فسكنوها وعمرت البلاد . والعمل الذي يخرس كل متشدق باعمال الاجنبي الآن ويخلد للمرحوم محمد علي باشا ذكرًا جميلاً ومجدًا لا يجاريه فيه مجار انشاؤه جسور النيل من شاطئيه ممتدة من أسوان الى رشيد من البحر الغربي والى دمياط من البحر الشرقي وقد بلغ مكعب تلك الجسور اربعين مليوناً من المتر المكعب . وانشاء الترع والجسور في داخلية المديريات البحرية والقبلية التي بلغ متوسط مكعباتها السنوية خمسين مليوناً من المتر المكعب وذلك غير تطهير الترع القديمة وردف جسورها وقد صرف رحمه الله تعالى في هذا العمل الشاق تسع عشرة سنة مبتدأة من سنة ١٢٢٩ وكان يشتغل في هذه الاعمال ثلاثمائة الف نفس . وكان الوجه البحري كالقبلي تنقسم أراضيه الى حياض واسعة تحيط بها جسور عظيمة فتمتلئ بماء النيل وقت فيضانه من ترع مخصوصة فاذا جاء وقت الزرع صرفوا المياه عنها بمصارف موصلة الى البحيرات فمديرية البحيرة كانت تصرف في بحيرة مريوط وبحيرة المعدية وبحيرة بوقير وبحيرة ادكو والغربية كانت تصرف في بحيرة البرلس والشرقية والدقهلية تصرفان في بحيرة المنزلة فكانت البلاد وقت الفيضان كأنها بحيرة واحدة وكان تزاور الناس وتجول التجار بالمراكب فاجتهد المرحوم في عمل ترع صيفية عند ما استحدث الزراعة الصيفية كالقطن والنيلج (النيلة) والافيون سنة ١٢٣٨ وكان قد امر قبل ذلك بحفر الآبار وعمل السواقي ولما لم يجدها كافية حفر

الترع الصيفية وكان يحصل للعمال تعب شديد في تطهيرها لمصادفة زمن الشتاء وربما مات في التطهير خلق كثير ولكن ذلك لم يثن همة الخديوي عن الاستمرار والجد في هذا العمل العظيم المنفعة وقد بلغ مكعب هذه الترع مائة مليون من الامتار المكعبة وعشرة ملايين . وبلغ عدد الترع الامهات النيلية والصيفية في الوجه البحري مائتين واربعة وعشرين ترعة يبلغ طولها اربعة الاف وستمائة كيلومتر وقد شغلت هذه الترع نحو خمسة واربعين الف فدان ومكعب المجموع الصيفي والنيلي من هذه الترع الف وثلثمائة واربعة واربعون مليوناً من الامتار المكعبة . وهذا كله غير فروع هذه الترع وفروع الفروع والمساقي والترع الخصوصية وقد ضبطت فروع ترع مديرية البحيرة فوجدت ثلثمائة وثمانية فاذا قسنا عليها باقي المديريات البحرية قرب عددها من الفين وسبعمائة ترعة غير المساقي الداخلة في زمام النواحي . هذا في الوجه البحري اما القبلي فقد بلغ عدد ترعه الامهات المستعملة الى الآن ستة وسبعين ترعة طولها الفان ومائة واثنان وعشرون كيلو متر تشغل من الارض نحو خمسة عشر الف فدان ومكعبها ثلثمائة وثمانون مليوناً من الامتار المكعبة . وعدد الجسور الكبيرة مائة وستة وعشرون جسراً طولها الفان وخمسة واربعون كيلومتر ومكعبها مائة وستون مليوناً من الامتار تشغل قدر ارض الترع تقريباً وهذه غير الجسور الصغيرة الكثيرة العدد . فاذا جمعنا اعمال الاقاليم وجدنا الترع الامهات والجسور الاصلية تشغل نحو خمسة وسبعين الف فدان فاذا اضفنا لهذا القدر الفروع والسكك بلغ المشغول من الارض نحو مائة وسبعين الف فدان وذلك قدر ثلثي ما يشغله النيل في مجراه ايام

الفيضان فان المقدر له مائتان وثلاثة وعشرون الف فدان تقريباً . واذا جعلنا هذه الترع والجسور خطاً واحداً بلغ طولها ثمانية الاف وسبعمائة وسبعة وسبعين كيلومتر ومكعب ذلك نحو الف وثمانمائة واربعة وثمانين مليوناً من الامتار المكعبة . فاذا قارنا بين الترع التي عملها محمد علي باشا وبين مجرى النيل من منبعه الى مصبه وجدناها قدره مرة وثلثين تقريباً فان طول النيل الف ومائتان وخمسة وسبعون فرسخاً اي خمسة الاف ومائة كيلومتر . ثم اخذ يذاكر رجاله والوافدين عليه من اوربا في طريقة تزداد بها الزراعة الصيفية وتامن ترعها من التلف فقيل له ان نابليون بونابرت لما دخل مصر لم ير لتحسين الزراعة انفع من بناء قنطرتين احداهما على بحر دمياط والثانية على بحر رشيد لحجز المياه زمن التحاريق وتوزيعها على اراضي الوجه البحري بحسب احتياج كل مديرية وعمل ثلاثة رياحات رياح لاراضي الشرقية والقليوبية والدقهلية ورياح للمنوفية والغربية ورياح للبحيرة ومدينة اسكندرية فأعجبه هذا الرأي واحضر لينان افندي الفرنساوي الذي تسمى اخيرًا بلينان باشا وكان على هندسة البلاد القبلية واصدر امره الى سر عسكر باتخاذ الوسائط اللازمة لانجاز هذا العمل سنة ١٢٥٠ فعين مجلس من المهندسين والرجال النبهاء لانتخاب المحل وقرر رأي اغلبهم على عمل القناطر بعيدًا عن النيل في راس جزيرة البحرين وصدر الامر باحضار الفعلة وعين من كبار المأمورين من يباشرون واحضرت المهمات من احجار واخشاب وحمرة وجير وآلات وبينما هم في العمل سعى بعض كبار الموظفين بلينان باشا عند الخديوي وعابوا عمله فبطل العمل ووزعت المهمات والادوات على البلاد سنة ١٢٥٥ وتعين لينان

باشا رئيساً على اقلام الهندسة في ديوان المدارس · ثم حضر بعد ذلك موزيل بك الفرنساوي لعمل حوض المراكب بليمان اسكندرية فذاكره المرحوم في عمل القناطر وامره بعمل رسم لما يراه وبعد اتمامه الرسم ارسله به الى مجلس الهندسة بفرانسا سنة ١٢٥٦ وبعد اقرارهم عليه صار الشروع في العمل واستخدم فيه كثير من الافرنج مع الوطنيين واستمر عشر سنين ثم انتقل الخديوي الى دار البقاء والرضوان سنة ١٢٦٦ وكان قد تولى الخديوية ابراهيم باشا ثم عباس باشا الاول وكانت الخزانة المالية خالية من النقود فصرف موزيل بك عن العمل واحيل اتمامه على مظهر باشا وقد بلغ مقدار ما صرف الى سنة وفاته سبعة واربعين مليوناً من الفرنك غير اهل البلاد الذين جمعوا لهذا العمل · وعند ما حفروا ارضية الفرش لوضع الاساس وضعاً محكماً ادركهم النيل وهجمت عليهم المياه فأمر موزيل بك برمي الدبش في الفرش ولهذا السبب حدث خلل في المفرش بسبب مرور المياه من بين الدبش · والذي حمل الخديوي على ذلك علمه ان فراعنة مصر ومن بعدهم من العجم والرومانيين والروم والعرب والجركس كانوا يوزعون اعمال الري على الاهالي فانهم شركاء الحكومة في الفوائد ولا عبرة بتنديد بعض الاجانب على المرحوم في جمعه الانفار اقامة للاعمال فان ذلك تمويه على ضعفاء المصريين ولو كانت دولة اجنبية في محل محمد علي باشا واياه لاصنعت جسور البحر وقواعد القناطر من الآدميين ولو كان عند محمد علي باشا من الثروة ما هو موجود الآن لاراح الاهالي وصاغ بوابات القناطر من الذهب · ولا يليق بالاجنبي ان يفتخر على محمد علي باشا بترك

السخرة وقد صير المصريين ارقاء فانما تلد النساء المصريات ليكبر الغلام ويستحق الفرز فتبيعه الحكومة لابيه بخمسين جنيهاً او مائة وهذا عمل من اعمال الذين اسسوا جمعية عتق الرقيق فكانهم جعلوا لها فرعاً وهو استرقاق الاحرار ليكون العتق عاماً لجميع الافريقيين وماذا عليهم وقد وجدوا آذاناً مصغية وطباعاً متحركة بريح الاوهام . وقد رتب المرحوم المهندسين في البلاد بدل الخَوَل (جمع خولي) فكان من خصائص ديوان الهندسة تقرير المكعبات اللازمة كل سنة وما يلزم لها من العمال وما يخص كل جهة وتعيين الوقت المناسب . ثم انتخب جملة من شبان المصريين وارسلهم الى اوروبا لتعلم علم الزراعة واحضر منها بعض مهرة علم الفلاحة وتربية الحيوان واشجار الفاكهة وتنظيم البساتين وخصص للتجربة ارضاً بشبرى وارضاً بنبروه وجعل مع الاوروبيين جملة من شبان مصر ليتعلموا العلم والعمل واحضر الآلات المستعملة في اوروبا وكان كثيراً ما يزورهم ويحثهم على العمل والثبات فيه . ثم احضر جماعة من سورية لتربية دود القز وتعليم المصريين ثم اخذ في استحضار حبوب واشجار لتعودها على ارض مصر وهوائها فان البلاد كانت تزرع القمح والشعير والفول والعدس والحمص والترمس والجلبان والعصفر وفي الصيف الذرة الشامي والبلدي وبعض النواحي كانت تزرع الارز والكتان والقطن البلدي فلما احضر القطن الهندي قلت زراعة البلدي حتى تلاشت . ثم اخذت التجارة في الانتشار وحضر الكثير من الاوروبيين الاستيطان والتجارة مع المصريين وحصل ارتباط كلي بين الفريقين فوضع المرحوم قانون

التجارة وعين له مجلساً مركباً من وطنيين واجانب لفصل قضايا التجار فكان اول مجلس مختلط بمصر ثم استخدم كثيراً من الاوربيين ما بين فرنساوي وطلياني وانكليزي في كثير من اعمال المدارس والورش والمعامل والعسكرية لتعليم المصريين حتى تثقف كثير منهم واستغنى الحال عن معظم الاجانب اذ لم يبق منهم في عهده الاخير الا نحو مائة من الاطباء والكيماوية والصيدلانية (الاجزائية) وعشرين في العسكرية وخمسة وعشرين من المعلمين في المدارس والزراعة وثلثمائة في الورش ثم نبغ كثير من الوطنيين فاستغنى الحال عن الاجانب الا افراداً لا يتجاوزون الخمسين · وكان اول ورشة انشأها ورشة خميس العدس بجهة الخرنفش وكان المعلمون فيها طليانية وكانت تصنع القطيفة والحرير ثم جعلت للاقمشة القطنية والكتانية · ثم ورشة بولاق المعروفة بمالطة وورشة السبتية وورشة ابراهيم اغا وهذه الثلاث كانت لعمل الاقمشة الرفيعة والغزل · ثم ورشة الغزل بقرب السيدة زينب رضى الله تعالى عنها وكانت محل بيت بهجت باشا الآن · ثم انشأ قيعان الحرير بمصر فنسج فيها الشاهي والقطني والالاجة والمشجر والاطلس وبلغ مقدار ما نسج من الحرير سنة ١٢٤٩ اربعة الاف اقة ثم انشأ عشر ورش بالوجه البحري في قليوب وشبين الكوم والمحلة الكبرى وزفتى وميت غمر والمنصورة ودمياط ودمنهور ورشيد وشربين وكلها للاقمشة ما عدا ورشة رشيد فكانت تصنع الغزل وقلوع المراكب · وانشأ في الوجه القبلي ثمان ورش في بني سويف واسيوط والمنية وفرشوط وطهطا وجرجا وقنا والواحات · وكان عدد دواليب الغزل ١٤٥٩ دولاباً منها ٤٥ للغزل الغليظ والباقي للرفيع وكان

مقدار الغزل الغليظ في اليوم من ايام الصيف ١٤٥٠٠ رطل من القطن وفي ايام الشتا ١٠١٥٠ رطلاً ومقدار الغزل الرفيع في اليوم الصيفي ١٣١٤٠ رطلاً وفي يوم الشتاء ٨٥٤٠ رطلا . وكان عدد دواليب نسيج الاقمشة ١٢١٥ دولاباً تنسج في يوم الصيف ٦٠٧٥ ذراعاً بلدياً وفي يوم الشتاء ٣٦٤٥ وكانت تصنع هذه الورش العبك الاسمر والبفتة البيضاء والشاش الرفيع ويباع في مصر ويرسل منه الى الشام وايطاليا والمانيا . وانشأ ورشة الجوخ ببولاق واحضر لها معلمين من فرانسا فتخرج على ايديهم كثير من المصريين الذين استغنى بهم اخيرًا ثم ارسل شباناً الى ورش الجوخ بفرانسا فتعلموا هناك ايضاً وكان يبلغ تكاليف البسطاوية التي طولها سبعون ذراعاً بلدياً ٥٧٢ قرشاً و٢٢ فضة فتكون قيمة الذراع ثمانية قروش وسبعة عشر فضة وكان يستعمله في لباس العساكر ولما راى ان الصوف المصري لم ينجح في الجوخ جلب الصوف من تونس والشام ومقدونيا ولكنه راى كثرة المصروف في استحضاره فاستحضر اغناماً من اوروبا تعرف بالميرنوس وجلب معها رعاة من الافرنج وضم اليهم رعاة من العرب وجعلها اولاً في مديرية البحيرة وبعضها في الغربية وبعضها في المنصورة وفي سنة ١٢٤٩ بلغ الموجود منها ٧٠٠٠ وكانت ادارتها تابعة للمدارس تحت ملاحظة الموسيو هامو الفرنساوي ناظر المدرسة البيطرية ولما فشا الموت فيها خلطها باغنام مصرية ليحفظ الصوف بالتوليد من بعضها . ولما رخص بدخول تجارة اوروبا في البلاد وراى الناس جودة مصنوعها وقلة ثمنه اعرضوا عن مصنوع البلاد ورغبوا في مصنوع الاجنبي فبطلت صناعة النسيج شيئاً فشيئاً ولكن بقي

الغزل مدة يحمل الى ايطاليا والمانيا وكانت تربح منه الحكومة مبالغ وافرة . وبمحافظته على الامن وقطع دابر قطاع الطريق واللصوص دخلت تجارة سواحل البحر الاحمر الى مصر وتوالى ورود القوافل من الصحاري الافريقية ودخلت تجارة البحر الابيض المتوسط من بلاد الترك والارمن واوروبا حتى بلغ عدد الاجانب في مصر سنة ١٢٥٦ ٥٠٠٠ رومي و٢٠٠٠ طلياني و٧٠ فرنساوي و١٠٠٠ مالطي و١٠٠ نمساوي و٢٠ موسكوبي و٢٠ اسباني و١٠٠ انكليزي و٣٠٠٠ شامي مسيحي و٢٠٠٠ ارمني وفي ذلك المستخدمون في الحكومة وكانوا في سنة ١٢٣٧ ستة عشر بيتاً . وكان مجموع الايراد سنة ١٢٣٧ ١١٢٥٠٠٠ جنيه مصري تقريباً ونما الى ان صار في سنة ١٢٤٩ ,٢٥٢٥٢٧٥ جنيهاً وما زال ينمو بزيادة التحسين في الادارة والزراعة والتجارة حتى بلغ نحو ثلاثة ملايين في عهد المرحوم سعيد باشا ثم بلغ ٩٣٨٩٩٠٠ سنة ١٢٩٤ في عهد الخديوي اسمعيل باشا . فهذه الاعمال هي اعمال محمد علي باشا اول قائم من العائلة الحاكمة الآن وما زاد عليها في ايام ابنائه انما هو تتميم وتكميل وسنتكلم على العسكرية البرية والبحرية والمدارس والمالية والصحة ودواوين الحكومة المحتاجة لبيان ما كانت عليه من النظام وما اعتراها من الخلل في السنين الاخيرة وما نريد ان نذم الخواجة او نقدح في المستر او نعيب البارون او نقبح عمل اللورد فان ذلك بعيد عن مغزى المؤرخين الذين لا يهمهم الا ذكر الاعمال ويتركون التحسين والتقبيح للقراء ولا يتعرضون للشخصيات والمطاعن الذاتية . واذا قرأ اجير من الاجراء هذا الملخص الموجز رآه لجاماً في فمه فلا يعود لقوله

ان المصريين غير قادرين على الاعمال وان مصرا ليست قابلة للصناعة والانكليز نقلت البلاد من الهمجية الى المدنية ومن الجهالة الى العالمية. وجميع المصريين يعلمون انه وامثاله لا يسعون معهم الا في طريق الغش والخداع وقد وضح الصبح لذي عينين فلا يطلب اثر بعد عين ولا تمام بحث الهندسة نذكر جملة من المهندسين الذين خدموا المصلحة وهيأوها لمهندسي الاجانب الذين جاؤا الى ديوان الاشغال وهو هو ترتيباً وتنظيماً ولا يمكن حصر المهندسين الظاهرين في هذا الملخص وانما نذكر البعض دليلاً على الكل فمن الذين تربوا في اوروبا مختار باشا الكبير وبهجت باشا وعلي باشا مبارك وعلي باشا ابراهيم واسمعيل باشا الفلكي ومحمود باشا الفلكي ومصطفى بك صادق وابراهيم افندي رمضان وبيومي افندي واحمد افندي دقلة واحمد افندي طايل ومن مهندسي السكة الحديد والتلغرافات احمد باشا فائد وحسن بك نور الدين وسلامة بك الباز وسليمان بك موسى وعباس افندي حلمي ومن الذين تعلموا في مصر سلامة باشا ابراهيم واسماعيل باشا محمد وعلي باشا رضا وثاقب باشا ومحمود باشا فهمي (منفي سيلان الآن) وعامر بك حموده واحمد بك ناصر واحمد بك جمعه وبليغ بك ولبيب بك وعامر بك عبد البر والسيد بك شكري ومحمود بك فهمي وصابر بك صبري ومحمد بك صدقي واحمد بك ذهني وعبد القادر بك فهمي واحمد بك كجوك واحمد افندي البقلي واحمد بك شكري ويوسف بك الحكيم وعلي افندي الدرندلي وحسن بك الشريف ومحمد بك طلعت وعلي بك النجار ومحمد بك زاهر وعلي بك برهان وحسين بك وصفي وحسن بك وصفي ومحمد بك ابو السعو ومحمود

بك صفوت واحمد بك السبكي وعلي افندي عزت واحمد بك عزي ومحمد بك عبد الرحمن واحمد صبري بك وبهادر بك وغيرهم ممن سنذكرهم في اداراتهم من مهندسين و باش مهندسين فانهم جميعاً تربية الادارة الوطنية وابناء البلاد ولم ينكر عليهم الاوروبي شيئاً من اعمال الهندسة ولا زاد عليهم شيئاً لا يعرفونه او لا يقدرون عليه اللهم الأ ان يكون صرفه النقود فيما يشاء ومتى شاء بلا اذن ولا قرار فهذا لم يتعود المصري على ارتكاب مثله و ربما عدنا فذكرنا كثيراً ممن لهم اليد الطولى في اعمال الري مع الثناء على معلميهم من الاجانب والوطنيين و بالله المستعان

—*—

حنفي ونديم

ح· انت يا سيدنا عملت كدا ليه كل جمعه نقول اياك يفتكرنا بكلمتين و يتحفنا بعبارتين نلاقيك ماسك في العضمه الخشنة ونازل على عيون الخاينين والمنافقين بقى ما فيش لنا خاطر عندك والا الفقرا يروحوا في داهيه ·ن· انت يا معلم حنفي لم تزل على جهلك ارى حنيفة تكلمني بكلام طيب موزون وانت تقول ما فيش وليه وتتكلم بالكلام العامي مع انك صاحبتني من مدة أ ذهنك اضعف من ذهن حنيفة · يمكنك ان تتكلم بالكلام البلدي في عبارة لطيفة تعجب الجاهل والعالم ولا يعيبك فيها احد فجاهد نفسك وقلدني في الكلام تكن من صف اللطفاء ·ح· انا وحياتك يا سيد اقدر اكلمك بكلام مليح يعجب السلطان وانما الانسان اخذ على الكلام مع الجهلة فغلب عليه كلامهم · والا انـا دائماً اسمع الجرائد وافهم عبارتها ·ن· ومن اين تاتيك الجرائد ·ح· انا والمعلم عفيفي

والمعلم بيومي والحاج يوسف والحاج دسوقي عملنا جمعية واشتركنا في جملة من الجرائد واستاجرنا كاتبا يقرأها لنا ٠ن٠ حيث انك تقرأ الجرائد فقل لي على ما رايته فيها واخبرني عن الجريدة الطيبة والجريدة الرديئة لا تحقق انتفاعكم بها من عدمه ٠ح٠ اول ما اشتركنا اشتركنا في الاستاذ لكون كلامه على قدر عقولنا ولما اتسع فهمنا راينا المؤيد ماسكاً على الجد وماشياً مع الاستاذ في طريق واحد فاشتركنا فيه ورايناه يخدم الوطن بنية خالصة ويكتب الفصول العجيبة ويدافع عن حقوقنا بقوة قلب ٠ وبعدها التفتنا لقينا النيل ينادي بصوت رقيق فاشتركنا فيه فوجدناه من المجتهدين في خدمة الوطن الساعين في تهذيب الناس وحفظ الحقوق العثمانية ورايناه يكتب كل لمحة تسحر العقول وتبين للناس الحقائق بقلم لطيف وعبارة علماء فحول فقلنا تم لنا السعد بوجود هذه الجرائد ما نشعر الا وواحد ينادي بالوطن فاشتركنا فيه وجدناه من جنس هذه الجرائد ورايناه وطنيا ينادي باسم مصر ويدافع عن حقوق رجالها ويحرض الناس على السعي خلف الامور النافعة واحسن مقاصده ترجمة كلام الانكليز ليطلع عليه اخوانه المصريون ومحافظته على الروابط التي بيننا وبين الاقباط يعني رايناه واحدا منا يفرح بفرحنا ويحزن بحزننا فقلنا تم الحظ وصارت كلمة المسلمين والاقباط واحدة فلم يبق هناك خوف من احد يفسد احوالنا ٠ وبعدها يا اخي سمعنا بجريدة اسمها الاهرام فاشترينا منها نسخة وقرأناها وجدناها نازلة على عيون المضلين والمضيعين حقوق المصريين فقلت لا بد وان نشترك فيها فوقع خلاف بين الجماعة وقال بعضهم محررها سوري فقلت لم يا

جماعة السوريون اخواننا وجيراننا وتحت حكم سلطاننا ويلزمنا ان نكون عصا واحدة في المحافظة على حقوقنا الوطنية ولا يلزم تفريق الكلمة واحداث العداوة والبغضاء ونحن محتاجون لقطع عروق العداوة فقام المعلم عفيفي وقال ان بعض السوريين يكتب ضدنا ويشتم جرائدنا الوطنية ويكذب على حكامنا ويمدح الاجانب ويذم المصريين فكيف نشترك في جرائدهم بعد ذلك فقلت له كل امة فيها الصالح والطالح والامين والخائن افلاجل المنافق منهم او الغاش نبغض هذا الجنس المختلط بنا من قديم الزمان ان الخائن منهم عرفناه فنتجنبه وقليل الحيا منهم لا ينبغي ان نلتفت اليه ولا نعده من بني آدم ولكن لا ينبغي هجر المخلص منهم والصادق في خدمته ان كان في الجرائد او في الحكومة وجريدة الاهرام نراها تنادي بآمال المصريين وتسعى في المحافظة على حقوقهم فلا ينبغي ان نعدها في الجرائد الغاشة فضلاً عن كونها اقدم الجرائد العربية في بلادنا وصاحبها شرقي مثلنا ومثل الاهرام المحروسة والاتحاد فانهما مجتهدتان في خدمة مصر واهلها فينبغي ان نشترك فيهما ايضاً فتم الرأي واشتركنا في الاهرام والمحروسة والاتحاد من جرائد السوريين وصرنا نجتمع كل ليلة نقرأ اليومي منها وفي كل اسبوع نقرأ الاسبوعي فحصل عندنا تنوير ذهن واتساع افكار من كثرة المطالعة والسماع وهذا كله من نتائج نصائح الاستاذ وارشاده ·ن· الله يبشرك بكل خير الآن اعتقد ان المصريين تقدموا في المعارف على اختلاف طبقاتهم وصار كل منهم يبحث في الاحوال الحاضرة والمستقبل وهذه نشئة كان ينكرها علينا بعض الاوروبيين وقد ملأوا جرائدهم بتقبيح اعمالنا وتجهيل رجالنا ورمينا بالهمجية وانهم هم الذين وضعوا النظام بمصر وحافظوا على الامن العام مع ان

النظام كان احسن مما هو عليه الآن والامن كان اعم من حالته الحاضرة ولا دليل اقوى من اختلاط الاجانب بنا اختلاطاً تاماً قبل ان يحل المدعي في ارضنا فاجتهدوا يامعلم حنفي في المطالعة ودراسة الاحوال لتقفوا على دسائس الغير واخلاص المخلصين وتميزوا بين النافع من الاجانب والضار فان في علمكم بهذه الاحوال حياة البلاد الحياة الادبية المدنية وكلما جلستم مجلساً اذكروا محاسن خديوينا المعظم ومساعيه الوطنية ونبهوا عليها اخوانكم وابناءكم بل واهل بيوتكم ليقف كل منهم على مـا لهذا الخديوي المفخم من الافعال الحميدة والآثار الجليلة وعلينا معاشر المحررين ان نخلص في النصح والارشاد وخدمة البلاد والعباد

—*—

تهنئة قدوم

امتلأت البلاد نوراً والقلوب سروراً وانشرحت الصدور بقدوم عنوان كتاب الفضل مرجع شوارد الآداب كامل اوصاف العقلاء وجامع محاسن النبلاء الشاب المدرب بل الشيخ المجرب احمد افندي ذكي عضو الوفد المصري في مؤتمر علماء المشرقيات اللندري وقد ساح كثيراً من بلاد اوروبا للحصول على فوائد يقدمها لقومه عند قدومه ولم تمهله الغيرة الوطنية حتى يقدم سالماً فبعث رسائله الطنانة الى الجرائد المحلية مقدمة لرحلته التي سيقدمها لاخوانه المصريين بل الشرقيين سجل حقائق ومجموعة عجائب وقد حظى بالمثول بين يدي الخديوي الافخم فنال احسن قبول وتوجها تاماً من

يقدر العلماء حق قدرهم فلتهنأ مصر بعودة ابنها الغيور عليها وليهنأ اخوانه الذين ملئت قلوبهم بمحبة ذكي يهنئه النديم

صدر الامر العالي باحالة نظارة المعارف على صاحب الدولة رياض باشا مع الداخلية فلتهنأ المعارف بالغيور عليها المحب لاهلها وتقدمها وتقدمهم

﴿ تقريظ ﴾

لا يمضي يوم الاّ ونرى او نسمع خبرًا سارًا ومشروعاً نافعاً تحدثه النشئة المصرية الخالصة من امشاج الاجانب المحتكة افكار اهلها في افكار اهل الفضل من اي جنس كانوا ولا نلبث ان نرى مصر روضة علم ومنبع فضل يحقق لنا هذا الامل ما نراه من اقدام الشيوخ والشبان على انشاء الجرائد العلمية والسياسية فقد صدر في هذين الاسبوعين جريدة الثمرة لمحررها الفاضل انطونيوس منصور وتلتها جريدة الهدى لمحررها الكامل احمد افندي لطفي ثم المدرسة لمحررها المهذب مصطفى افندي كامل ثم النديم لمحرره النحرير احمد افندي عبد اللطيف وغدا يصدر التلميذ لمحرره الاديب محمد افندي البابلي وستصدر ايضاً الشرائع في الاسبوع القادم وهذه نشئة علمية تنبئنا عن حسن مستقبل مصر فقد صار لابنائها جرائد المؤيد والنيل والآداب والوطن وفرصة الاوقات ومرقى النجاح والراوي والثمرة والهدى والتلميذ والمدرسة والشرائع والنديم والرشاد والمنظوم والمهندس والاستاذ وانه لعدد كثير في نشئة قليلة الوقت كثيرة الفوائد

﴿ عبدالله نديم ﴾